

بناء الممالك

درس في حياة الدكتور بينس واعماله

— ٢ —

انقضى الدور الاول من عمل الدكتور بينس بانحلال الامبراطورية النموية المجرية وصار من الواجب عليه ان ينصرف الى البناء والاصلاح . لكن البناء والاصلاح كانا شاقين محفوفين بالمصاعب والعقبات لان اوربا الوسطى كانت في حالة تقارب الفوضى العامة وشيخ البولشيه يرفرف فوق ارجائها . كانت نار الوطنية المتطرفة تلهب الدول الجديدة التي نشأت في اوربا الوسطى ومزوجو الدعوة الفرنسية العسكرية كانوا يزيدونها اضطراباً بمساعيم واصبح العقلاء يخشون امتداد نيرانها الى البلدان المجاورة فتقلب الوطنية حقداً شديداً وينفضى على الامل بتوطيد السلام فضلة مبرماً . ولم تكذغضي الشهور الاولى بعد عقد الهدنة حتى ارتفعت اصوات المتشائمين في كل ناحية فكنت ترى الماليين في لندن وباريس الذين تربطهم بمدن التماس الكبيرة وروابط مالية شديدة ينظرون الى الخراب المحقق بمصالحهم بعين الخوف والوجل . واخذ مندوبو الحلفاء ومراقبوهم في اواسط اوربا يتساءلون هل اخطأ الحلفاء في ازال الملوكة عن مقاعد الحكم ووضع مقاليد الامور في ايدي رجال كان معظمهم تبالاً يحرثون الارض ويخدمون في القصور والقنادق ؟ الا يجوز للحلفاء ان يرجعوا بالعهود التي فطموها فيميدوا الاحوال الى ما كانت عليه وينصرف كل الى السبل الذي اقتنوه قانهم لم يقطعوا عهدهم الا توصلوا الى النصر ؟ لكن انحلال الامبراطورية النموية كان امراً مفعولاً والحرب انما اسرعت الانحلال ولم تسيبه ولم تكن المعاهدات سوى توقيع الحلفاء على الامر الواقع وهم لو ارادوا ان يغيروا مجرى الحوادث لما استطاعوا الى ذلك سبيلاً

تلك كانت حالة اوربا الوسطى حين استلم الدكتور بينس زمام الامور الخارجية في تشكوسلوفاكيا ولكنه لم يفصل قط عن كبر انهممة التي تدب اليها . انه كان يعلم حساسة شعبه وقلة خبرتهم في الامور السياسية والادارية علماً انهم من علم اي سياسي في لندن او باريس وكان يمتاز على سائر الساسة في اوربا الوسطى بان له غاية واضحة يسعى لها ومنهجاً

جداً يسير عليه نحو تلك الغاية وكان ذلك النهج في رأي مؤلفاً من مرحلتين :
 الأولى مرحلة التدمير . وذلك انه رأى من الواجب عليه ان يكمل استقلال بلاده
 الفعلي قبل ان يقع ما يقيّر آراء الحلفاء . فراد ان يفك كل القيود التي تربط الامة
 التشكية بالنمسا فنقض سنتين ونصف سنة بعد توقيع الهدنة في توحيد الجمهورية
 التشكية فضرب نقداً تشكياً مستقلاً كل الاستقلال عن اي نقد آخر في اوروبا
 وبسط سلطة الحكومة على مصالح البيوت المالية النمسية في تشكوسلوفاكيا وجمعها
 مصالح تشكية وطنية ومنع المضاربين الماليين من الدخول الى بلاده فنضب عليه
 المليون في أنحاء العالم لكنه مضى في عمله لانه رآه لازماً لتوحيد قوى الامة قبل
 السير على طريق الاصلاح . وكان عليه فوق ذلك ان يوجد هيئة حاكمة منظمة
 من شعب لم يعد الترتع في مناصب الاحكام لان التشكيين الذين اشتغلوا في الحكومة
 النمسية كانوا قلائل لم تمتد مراتهم درجة الكاتب البسيط . وما زاد الطين بلدة
 ان اعيان التشك كانوا ينظرون الى الحكومة الجديدة بعين الحذر ولم يشاءوا ان
 يعاونوها في امر ما لذلك وجب على ينس ومعاونيه من الزعماء ان ينشئوا حكومة
 من رجال لم يلبسوا ثياباً رسمية في حياتهم . لكن رغمًا عن هذه العقبات الكبيرة
 استطاعت الامة التشكية ان تنظم حكومتها فانفردت بذلك بين الدول الجديدة
 شرقي نهر الرين

ولم ينس الدكتور ينس المرحلة الاخرى من الطريق الذي امامه وهي اصلاح
 اوروبا الوسطى لتصبح وحدة اقتصادية متقلة تكفل لبلاد استقلالها السياسي .
 وهذا عمل كبير يوازي العمل الأول في المصاعب والعقبات التي تحول دون نجاحه
 بل قد يفوقه في ذلك . ففي كل جهة كانت حدود الجمهورية التشكية معرضة لهجمات
 الاعداء وكانت الاقلية الالمانية الحرة في البلاد تقاوم مساعي الحكومة الجديدة
 ولم تستطع تشكوسلوفاكيا ان تحب في عداد اصدقائها سوى يوغوسلافيا ورومانيا
 لان بولونيا الطامعة في السطوة والنفوق كانت عدواً بدلاً من ان تكون صديقاً . على
 ان غاية واحدة كانت تجمع بين يوغوسلافيا ورومانيا وتشكوسلوفاكيا وهي المحافظة
 على الحرية والمهود التي ربحوها في معاهدات الصلح المختلفة . فنجح عن
 هذا الاشتراك في الغاية والمصلحة الاتفاق الاوربي الصغير وزعيمه الحقيقي اليوم
 الدكتور ينس

ولما تمت للدكتور ينس سلامة بلاده من الوجهة العسكرية انصرف بكل قواه الى تحقيق خطته الاقتصادية . ادرك باديء بدء ان مستقبل تشكو سلوفاكيا الاقتصادي في اوربا الوسطى لا في الخارج وانه اذا اراد ان تستقل بلاده استقلالاً اقتصادياً وجب عليه ان يجد ما يربط دول اوربا الوسطى المختلفة فيجعل منها اتحاداً اقتصادياً مستقلاً . لكنه كان يحذر « الاتحاد » كما تم الشعب التشكي لما اصابهم من الضرر في اتحاد بوهيميا مع سائر الولايات التي تآلفت منها الامبراطورية النموية . ولذلك كانت خطته انشاء معاهدات اقتصادية بين دول اوربا الوسطى على مبدأ « التفضيل الاقتصادي » ينهي امرها بشكل من الاتحاد الاقتصادي بينها . وللنجاح في عمله هذا جعل يسمي لاستنفات مالي الانكليز لانه كان يعتقد ان انكلترا البلاد الوحيدة التي تستطيع ان تدين التقود وترغب في تسمير اوربا الاقتصادي . وفي سنة ١٩٢٢ منح امتيازاً لبك انكليزي تشكي بمضده بنك انكلترا وذلك بعد مقاومة شديدة من منطري الحزب الوطني وكانت حكومة تشكو سلوفاكيا الحكومة الوحيدة شرقياً من الرين التي تمكنت من عقد قرض حكومي في اسواق انكلترا

ثم اتت الى النمسا فرأى ان ليس من مصلحة بلده ان تتحد النمسا والمانيا . وبتبع هذا الاتحاد وجب عليه ان يجد النمسا . وما من وزير كان يستطيع ذلك سنة ١٩١٩ . لكن الدكتور ينس رأى ان سياسة العطف على النمسا خير وسيلة لانهاضها ولذلك كان اول العاملين على وضع خطة رشيدة لاصلاحها وهي الخطة التي اتبعتها جمعية الامم بمدنرولولا موافقتهم لتمذر عقد القرض النموي الدولي الذي حفظ التقود النموية من التدهور كما حدث للمارك الالماني . فبعد نظريه ورحابة صدره سهلاً اقتشال النمسا من الوهدة التي كانت سائرة اليها لو تركت وشأنها او لو وقف بينس ازياءها موقف المتطرفين من قومه . ولا شك في ان هذه السياسة الحكيمة كانت الخطوة الاولى لاصلاح اوربا الوسطى وارجاع اعلام السلام تحقق فوق ارجائها بعد ان دوت في أبحاثها اصوات المتطرفين من الشيوعيين والبولشفيين

ولا يزال امامه مشكلتان كبيرتان وهما الموقف الذي يتخذه نحو جمهورية المجر والطريقة التي يعامل بها الاقلية الالمانية في بلاده . وسيأتي الكلام في الجزء التالي على اوصاف الخاصة التي تؤهلها لان يكون قدوة لعير من بناء الممالك وعلى نجاح بلاده في عهده